المحافظات التي تقع شمال وشمال غرب بغداد، أما الأكراد فإن غالبيتهم موجودون في المنطقة الشمالية والشمالية الشرقية، في حين تلتقي هذه المناطق الدينية الثلاث وتتداخل في بغداد الكبرى ومحافظة ديالى شرق بغداد[1].

المبحث الثاني

بانوراما العنف والحرب في العراق

يشترك العراق مع الدول أخرى في الشرق الأوسط في عدة خصائص منها النمو السكاني السريع، نتيجة معدلات الخصوبة العالية، وتشهد بعض الخصائص الأخرى على ماضي العنف في الدولة خلال العقود الثلاثة الأخيرة، وتجمع هذه الخصائص بين الحرب العراقية الايرانية، وحربي الخليج الأولى والثانية، والحصار الاقتصادي، والاحتلال الأمريكي، بالإضافة الى المشاكل الداخلية التي انعكست سلبا على سكان العراق.والجدول أدناه يبين النمو السكاني للعراق منذ التعداد السنوي الأول عام 1957، لغاية عام 2007[2].

جدول رقم (1)

يبين النمو السكاني لسكان العراق

السنة	حجم السكان بالمليون	النسبة المئوية للنمو السكاني %
1957	299،6	9،2
1965	047،8	1،3
1977	100،12	3،3

(10) علي جواد كاظم وتوت، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر، مصدر سابق، ص127.
(2) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، 2004.

السنة	حجم السكان بالمليون	النسبة المئوية للنمو السكاني %
1987	543،16	6،2
1997	046،22	0،3
2007	140،29	9،2

الأمن وعناصر النمو السكاني في العراق

1. الخصوبة

تأثرت خصوبة سكان العراق بالأوضاع الراهنة التي شهدها المجتمع العراقي، اذ يتجه معدل الخصوبة في العراق نحو الانخفاض، اذ تشير تقديرات مسح الأحوال المعيشية في العراق عن التقديرات السابقة كتلك التي تعتمد على نتائج التعداد لعام 1997، والشكل رقم (2) يبن معدلات الخصوبة الكلي 1988_2004[1].

(1) جمهورية العراق، وزارة التخطيط والتعاون الإنمائي، مسح الأحوال المعيشية في العراق،الجزء الأول، 2004، ص 45.

الشكل رقم (2) يبين معلات الخصوبة الكلي للاعوام 1998_2004

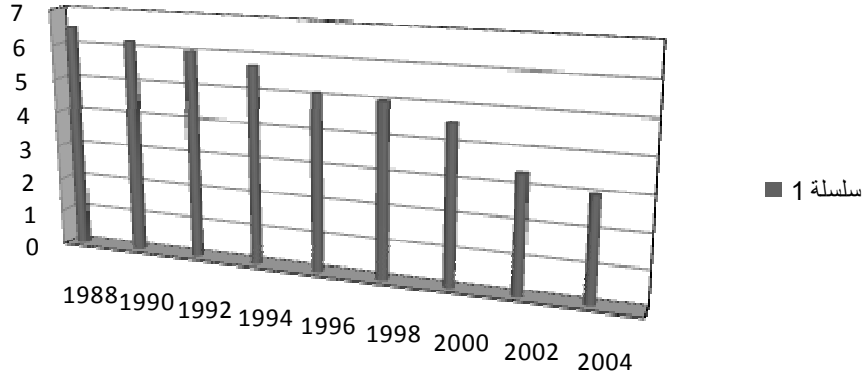

يبين الجدول رقم (2)

مسار الخصوبة للسكان العراق

المنطقة	1998_1994	2003_1999
حضر	4.2	7،3
ريف	6.1	5,2
المجموع	4,7	4,0

يبين الجدول التباين في معدلات الخصوبة بين سكان الحضر والريف، اذ ترتفع نسبة الخصوبة في الريف عن الحضر، ويبين الجدول انخفاض معدلات الخصوبة للمدة (1999_2003) عن سنوات(1994_1998).

تشير الدلالات الديموغرافية إن هناك علاقة دالة بين معدلات الخصوبة والظروف الاجتماعية والسياسية في المجتمع، ولعل انخفاض معدلات الخصوبة في المجتمع العراقي في فترة التسعينيات الى الظروف السائدة في المجتمع من تدهور الأوضاع الاجتماعية وفقدان الأمن الاجتماعي وفقدان والقصور في سد الحاجات،

وهذا ما حدث لمجتمعنا، فالأحداث التي ألمت بالعراق منذ عام 1990، وما اعقبها من حصار شامل وقصف امريكي أطلسي تركت اثاراً مدمرة في نواحي الحياة جميعاً وخاصة النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وكما في جميع المناحي الاخرى، اذ كانت المرأة العراقية مستهدفة بشكل مباشر أو غير مباشر انعكس سلباً على خصوبتها[1]. اذ حدثت الكثير من حالات وفيات الأمومة بشكل مرتفع،وتشير المصادر الى بلوغ معدل وفيات الأمومة حوالي(194) حالة وفاة لكل (10000) حالة ولادة في العراق،وتشير الإحصائيات ان هذا العدد في ارتفاع بعد عام 2003بسبب استهداف المدنيين والأسر في الحرب وأبان الاحتلال، والجدول رقم (3) يبين نسب وفيات الأمومة في بعض دول الشرق الأوسط.

جدول رقم (3)

يبين نسب وفيات الأمومة في بعض دول الشرق الأوسط.

الدولة	نسب الوفيات
العراق	194
السعودية	23
تركيا	55
إيران	130
الإمارات العربية	30
عُمان	120

(1) شبكة اعلام العراق، المنظمات والطفولة،2002 ص2

نزيد على ذلك ان مؤشر سن الزواج اخذ بالارتفاع لدى الجنسين الذكور والإناث، اذا ما قيس بمتوسط سن الزواج في سنوات بداية الألفية الثانية، حيث تزوجت معظم النساء اللواتي ولدن بين عامي (1920_1929) في عمر 19 سنة،بينما تزوج الرجال في عمر 25سنة، وتزوجت معظم النساء اللواتي ولدن في السبعينيات في عمر 29سنة، بينما تزوج الرجال في عمر 28سنة [1].

2. الوفيات

على الرغم من أن دراسة السكان نفسها أقدم من علم الاجتماع واقترن ظهورها بأصول ومصادر متنوعة ومتعددة منها (الفلسفة والاقتصاد والإحصاء والجغرافية والطب والبيولوجيا)، الا انها ما لبثت أن أصبحت اكثر ارتباطاً والتصاقاً بعلم الاجتماع منه باي علم اخر[2] واليوم تكرس غالبية مراجع ومؤلفات المدخل الى علم الاجتماع قسماً منها لمعالجة موضوعات السكان مثل (حجم السكان وتكوينهم والخصوبة والوفيات والهجرة وما اليها) [3] وما يسوغ دراسة علم الاجتماع لموضوع الوفيات، أنها ظاهرة اجتماعية تؤدي العوامل الاجتماعية دوراً في ارتفاع وانخفاض مستوياتها واتجاهاتها مثل (المهنة والمستوى التعليمي، والمستوى التغذوي وظروف السكن والخدمات الصحية والطبية ومستوى المعيشة العام للسكان[4]

والناس مختلفون أمام الموت فهو ظاهرة بيولوجية اجتماعية، ولأن موت الأطفال في سن مبكر هو موت اجتماعي يسأل عنه المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي السائد في ذلك المجتمع، وهذا ما يقودنا إلى عدد معدلات الوفيات بصورة عامة ووفيات الأطفال ومنها (وفياتهم المبكرة) بصورة خاصة، مرآة تعكس درجة ارتقاء المجتمع وسكانه من الناحية الاجتماعية اولاً والثقافية والاقتصادية ثانياً، بمعنى اخر مراة لدرجة تحضر الأمة وتقدمها ورفاهيتها وأمنها [5] وهكذا يمكن فهم سبب ارتفاع معدلات الوفيات في البلدان النامية عنها في البلدان المتقدمة، بإرجاعه الى تدهور ظروفها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية إذ (التخلف والمرض والفقر)

(1) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، 2004.
(2) علي عبد الرزاق، علم اجتماع السكان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر- 1989، ص28.
(3) M.G .Moore, Sociology and demography .New York 1960, p 360 .
(4) يونس حمادي علي، مبادئ الديمغرافية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، 1985، ص 16.
(5) محمد الغريب عبد الكريم، سيسيولوجيا السكان، المكتبة الجامعية الحديثة، الإسكندرية، مصر، 1982.

ابادت الملايين من أبناء هذه الشعوب التي ذهبت ضحية امام الظروف التي تفتك بالإنسان [1]

وفيما يخص الوفيات يصنفها المختصون على قسمين مع استبعاد الحوادث هي:

1. عوامل وأسباب داخلية (طبيعية) أو ما يسمى الموت البيولوجي بالمرض مثل أمراض السرطان و السكر والقلب ووفيات الأطفال الخدج إذ لا دخل للمستوى الاجتماعي في هذه الأمراض.
2. عوامل خارجية بيئية ويقصد بها وفيات بأمراض نستطيع ان نسميها اجتماعية مثل (السل وأمراض الأطفال المعدية) تتدخل فيها المستويات الاقتصادية بمعنى الكلمة، فهذه الأمراض تظهر نتيجة سوء التغذية والمسكن وهما نتيجة للفقر والفاقة، ومن هنا ينكشف لنا الستار في أن ارتفاع معدل وفيات الأطفال في الأحياء الفقيرة انعكاس لسوء مستوى المعيشة وهبوط المقدرة الاقتصادية من ناحية وجهل الأمهات من ناحية أخرى[2].

(1) طه حمادي الحديثي، جغرافية السكان وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد،2000، ص 46.
(2) محمد الغريب عبد الكريم، سسيولوجيا السكان، مصدر سابق، ص 371-372.

3. الهجرة

تعد الهجرة خسارة وكارثة اقتصادية وتقنية فادحة على البلد ومما لاشك فيه ان نظام العولمة الحالي شجع كثيراً على تنقل وهجرة السكان من مجتمعاتها الى مجتمعات أخرى من خلال توفير العروض المالية المغرية وتسهيلات الإقامة والحصول على تأشيرات الدخول وغيرها من المغريات التي تحفز على الانتقال والهجرة بالرغم من ان الهجرة ظاهرة تمتد عبر عصور التاريخ المختلفة الا أن ظهور الكيانات السياسية للدول وتباين أقدار تلك الدول من التقدم والثروة والفرص الواعدة والخدمات وتوفر الظروف السياسية والأمنية الملائمة للعمل والمعيشة في مقابل محدودية الفرص ونمطية الاقتصاد وتدهور الأحوال الاجتماعية والسياسية والأمنية في دول أخرى تؤدي الى زيادة نسبة الهجرة فعدم الرضا عن البيئة الأصلية يحفز السكان الى الانتقال إلى بيئة أخرى أكثر ملائمة، ولقد تعددت الهجرة في العراق وتنوعت مظاهرها بتنوع الأسباب التي أدت إليها لكنها تمحورت حول ما يمكن تسميته بالهجرة القسرية تلك التي اجبر أصحابها على الهجرة الخارجية تحت ضغط سلطة سياسية او اجتماعية مباشرة وهو النوع الأكثر شيوعا الذي عرفه سكان العراق، أما الهجرة لدوافع اقتصادية او اجتماعية او غيرها فلم يأتي إلا ربطا بأسباب نتجت بدورها من سوء الإدارات السياسية للحكومات العراقية المتعاقبة فالمجتمع العراقي على مر العقود الأخيرة قد تعرض لجملة من الظروف والأزمات والحروب ابتداء بالحرب العراقية الإيرانية عام (1980)، وحرب الخليج الأولى عام(1991) ومرورا بالحصار الاقتصادي الذي استمر عليه لمدة (13)والتهديدات الأمريكية المستمرة بشن عدوان عليه وانتهاء بالاحتلال الأمريكي عام 2003 أدى لاستنفاذ إمكانيات السكان وطاقاتهم، وطاقات البلد المادية والى افتقار العراقيين ودفعهم إلى البحث عن لقمة العيش أخرى فقد كانت الهجرات ترتفع وتنخفض نسبتها تبعا للتطورات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والاجتماعية والتي عصفت بالمجتمع العراقي [1].

أطواق الموت الثلاث (الحروب في العراق في نهاية القرن العشرين)

1. الطوق الأول الحرب العراقية الإيرانية (1980_1988)

(1) الانترنت، العقول المهاجرة بين الاستنزاف والاستثمار 2008/1/6

www.balagh.com

قرابة عقد من الحرب دامت بين القوات العراقية والقوات الايرانية، وراح ضحيته الملايين من البشر اغلبهم من الشباب الذين يتراوح أعمارهم (18_45) سنة وهي القوة البشرية للبلد، خاضوا أشرس المعارك الطاحنة، وتشير الإحصائيات إلى أن حوالي (100000_ 800000) عراقي قضى نحبه بين عامي (1980-1988) نتيجة الحرب، وان حوالي (140000) مفقود في تلك الحرب.

ودخل الحزن اغلب بيوتات الأسر العراقية لفقدانها أباً أو أخاً أو زوجا أو قريبا، بسبب الحرب التي دامت ما يقارب عشرة سنوات، وبعد عام 1988 أعلن الطرفين وقف إطلاق النار توقفت طواحين الحرب عن حصد أرواح السكان.

2. الطوق الثاني حرب الخليج 1990، والحصار الاقتصادي 1990_2003

وفي عام 1990 بدأت معناه أخرى للعراقيين تمثلت في حرب الخليج الأولى هذه الحرب لم يسلم منه المدنيون ولا العسكريون فبالرغم من قصر مدتها إلا أنها خلفت الكثير من الضحايا من السكان في العراق إذ تقدر الإحصائيات إن حوالي (150000) نسمة عدد الضحايا من العسكريين والمدنيين الذين ماتوا جراء القصف واستخدام الأسلحة المتنوعة (1).سجلت الإحصائيات ارتفاعا في معدل التشوهات الولادية من (3.2) حالة لكل ألف ولادة في عام 1990 إلى (22) حالة لكل ألف ولادة في عام 2000، أي بزيادة تقرب من السبعة أضعاف، وارتفاع حالات الإجهاض لدى الحوامل العراقيات إلى ثلاثة أضعاف، كما سجل ارتفاع حالات الإصابة بالأمراض الوراثية نتيجة التغيرات التي طرأت على الكروسومات بسبب ازدياد نسب التلوث الإشعاعي، كأمراض العيون سجلت زيادة بنسبة 2.5% وإنجاب الأطفال المنغوليين سجل زيادة بنسبة (6.6%) والتغيير في عدد وشكل بعض أعضاء الجسم سجل زيادة بنسبة (1.3%) وظهور حالات تقلص في الرأس واختفائه بسبب ضعف الغدد.ومن ذلك فقد شهدت مدينة البصرة ولادة 300 طفل مشوه خلال عام واحد و أرجعت الدوائر الطبية ولادة الأطفال المشوهين إلى استنشاق الأمهات لغبار نووي صادر من القذائف الأمريكية والبريطانية في حرب 1991م وقد استخدمت القوات البريطانية أثناء حصارها لمدينة البصرة ذخيرة Dv التي حذر منها العلماء إذ أنها تؤدي إلى التشوهات في كل مولود جديد. لقد تحولت بيئة العراق إلى بيئة ملوثة تفتك بالأطفال العراقيين ليصل تأثيرها إلى الأجنة في بطون الإناث أكن طفلات صغيرات أو شابات أو أمهات كبيرات في السن وقد أكد ذلك الدكتور" عزيز أحمد عبد العزيز" أستاذ أمراض النساء والتوليد بكلية الطب جامعة الأزهر"حيث قال إن النساء العراقيات اللاتي كن حوامل أثناء فترة الحرب سوف ينجبن أطفال مشوهين بسبب وجود الأم في ظروف الحرب وهي ظروف غير ملائمة... وأضاف إن الجو الملوث نتيجة الاحتراق لأول أكسيد الكربون والغازات الأخرى الناتجة عن الآبار المشتعلة أو النفط الذي تم إشعاله أو نتيجة القنابل والصواريخ ستضر بالتأكيد بصحة الأم والجنين معاً كما إن استخدام اليورانيوم المنضب يسبب تكسير في شريط الحمض النووي DNA وهو ما يتسبب في توقف انقسام الخلايا فيؤدي إلى حدوث عيوب خلقية وتشوهات ولا يقتصر الضرر على الجنين الموجود بالرحم فقط بل يتعداه إلى

(1)جيف سيمونز، التنكيل بالعراق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998،ص44.

حالات الحمل المستقبلية ويمتد لعشرات السنين.لأن أرحام الإناث تختزن بويضات تعرضت للإشعاع أثناء وجودهن في أرحام أمهاتهن[1].

الحرب الاقتصادية(1990_2003)

حرب جديدة على المجتمع العراقي، بل جديدة على التاريخ المعاصر أيضا ذ لم يشهد التاريخ المعاصر حرب اقتصادية كالذي فرض على العراق، فرضت العقوبات الاقتصادية على العراق على خلفية اجتياحه للكويت بموجب القرار المرقم (661) في 1990/8/6 وهو من الفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة المتعلق باستخدام التدابير غير العسكرية، وأعقبه القرار (678) الصادر في 1990/11/29 الذي أجاز استخدام القوة ضد العراق.

اذ حوصر العراق حصارا شاملا وعاما على كافة الأصعدة (السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والصحية.... وغيرها)، وكان سكان العراق هم الضحية الأولى فاستهدفت البنى التحتية للبلد فحرم الشعب من توفير احتياجاته الحياتية وشلت حركته التنموية، فبدات اكبر معاناة للشعب العراقي حيث انتشر المرض، والفقر، والبطالة....وغيره من مظاهر الحياة التي عصفت بأرواح سكان العراق وتشير الإحصائيات إلى ان العراق فقد في عقد التسعينيات ما يقارب (مليون) من سكانه اغلبهم من الأطفال والشيوخ والأمهات، بسبب الحصار والحرب الذي سبق الحصار.

3. الطوق الثالث حرب 2003 واحتلال العراق

ومع الألفية الثالثة دخل العراق حرب جديدة انتهت باحتلال العراق وانهيار كافة مؤسساته (المؤسسة السياسية، والمؤسسة الأمنية، والمؤسسة الصحية،، والمؤسسة الاجتماعية، والمؤسسة الاقتصادية... وغيره) خلق بذلك فجوة أمنية في العراق واخذ العنف يسري في شوارع البلد وفقد العراق بسبب الاحتلال، والانفلات الأمني، والحروب الأهلية مئات الآلاف من سكانه.

وبعد عام 2003 عام اخذ العنف الاجتماعي والاقتصادي يفتك بسكان العراق وما نتج عن العنف السائد في العراق نتيجة لغياب الأمن إلى جانب التدهور في الخدمات المقدمة إلى السكان في سد حاجاتهم اليومية أخذت الأوضاع السائدة تحصد أرواح السكان سواء بشكل جماعي نتيجة لقصف عسكري أو انفجار سيارات مفخخة أو القتل العمدي وتشير الإحصائيات إلى ارتفاع معدلات الوفيات في العراق بعد عام

(1) شبكة البصرة: مفكرة الإسلام: 1/ 3/ 2005: « وزارة الصحة تؤكد استخدام قوات الاحتلال مواد محرمة دوليًا في ضرب الفلوجة».

2004الى 2,4% عن عام 2000، أعربت بعثة منظمة الأمم المتحدة لمساعدة العراق (يونامي) عن قلقها إزاء التصعيد الأخير لأعمال العنف التي بدأت منذ نهاية شباط (فبراير) الماضي والتي أدت إلى تشريد أعداد كبيرة من السكان في مناطق مختلفة من البلاد.وأشارت البعثة الى ان عدد المشردين داخل العراق يقدر بحوالي (1.3) مليون فرد، أي 5% من مجموع سكان البلاد تقريباً، موضحة بان أعداد كبيرة من السكان قد تم تشريدهم منذ فترة طويلة تعود إلى بداية الثمانينات من القرن الماضي. وبين البيان ان تزايد العنف والتوترات الطائفية المتواصلة في غضون الشهور الأربعة الأخيرة أدت إلى تشريد ألاف السكان من مساكنهم [1].

تبدوا المشكلة في أساسها كارثة اجتماعية خطيرة في ظل الأعداد غير المحصورة برقم معين فكل يوم ييتم طفل وتترمل امرأة ليترك الأب خلفه عشرات الضحايا تفترسهم الأيادي الخفية والوطن المفتوح على كل الاحتمالات تؤكد التقارير بأن عددهم بالملايين وأشارت مصادر أخرى بتقدير النسبة لغاية شباط 2002بـ أكثر من 5 ملايين و200 ألف طفلاً يتيما أتراها كم تكون النسبة إلى 2007يعيشون في كنف أرامل وثكلى لا حول لهم ولا معيل، معظمهم يعاني من سوء التغذية، والأمراض المزمنة، والانتقالية، وقسم كبير منهم من ذوي الاحتياجات الخاصة. وتضم بعض دور الأيتام عدداً قليلاً وهي بدورها فقدت مصداقيتها بعد الصور المرعبة التي تسربت من إحدى الدور الحكومية لوسائل الإعلام وكشفت حقيقة الانتهاكات لصور أطفال أبرياء بالإمكان تعداد فقرات أجسادهم النحيلة المرمية في زاوية ما هنا وهناك نتيجة المعاملة السيئة، والقسم الأكبر من الأطفال اليتامى يعيشون بلا مأوى حفاة، عراة تحتضنهم شوارع غير آمنة وعصابات الجريمة المنظمة في العراق انتزعوا براءة الطفولة وأشارت بعض وسائل الإعلام إلى استخدام بعض من الأطفال اليتامى أو أطفال الشوارع في عمليات التفخيخ التي تستهدف الأبرياء من العراقيين، هؤلاء هم أيتام العراق.

(1) لمياء الركابي، العنف في العراق، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 76، 2007، ص 272 .

خاتمة الفصل الأول

أثرت الحروب وطبيعة الظروف التي مر به المجتمع العراقي على النافذة الديموغرافية في العراق، وعلى الخارطة الديموغرافية، من حيث النمو السكاني، ومن حيث هيكلية السكان وتركيبه ونوعه، المثير للأهمية إن العراق مر بحروب متنوعة حصتا رواح الفئات السكانية جميعها لم تقتصر على فئة الشباب فحسب كباقي الحروب في العالم باستثناء الحرب العراقية الإيرانية التي اقتصر على جبهات القتال، الا ان الحربين التاليين للحرب العراقية الإيرانية شملت جميع فئات المجتمع العراقي لان القصف العسكري لم يكن مقتصرا على الجبهات العسكرية وانما طالت المدنيين الأبرياء مما اثر بشكل كبير على معدلات الوفيات في العراق، ناهيك عن الحرب الاقتصادية التي كانت لها أبعادها الديموغرافية على سكان العراق.

المصادر

1. علي جواد كاظم وتوت، الدولة والمجتمع في العراق المعاصر، أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم علم الاجتماع، كلية الاداب، جامعة بغداد، العراق، 2004.